كلمة هيئة التحرير

إن النهضة العلمية الحديث تعتمد بشكل أساسي على التقدم في مجال البحث العلمي، وتعتبر الجامعات بشكل عام هي الحاضن الأساسي لإجراء البحوث العلمية، ولكل جامعة أو مؤسسة أكاديمية استراتيجية في اختيار أولويات البحث العلمي في مجالات تقع ضمن اهتمام الباحثين، ومن المهم أن تكون هذه الاستراتيجية هي أساس الخطط البحثية في جامعات كل بلد، حيث تكون هذه الاستراتيجية الوطنية هي الأساس لخطط مراكز البحث المتخصصة في الجامعة ومراكز البحث وبرامج الدراسات العليا في الكليات والأقسام، وفي بحوث التفرغ العلمي والترقية للأساتذة في الجامعة، ومن هذا المنطلق جاءت مجلة منظومة المعرفة الإنسانية لتوفر للباحثين والطلاب والدراسين آفاقاً يلتمسون منها الثغرات البحثية المفتوحة، وبناء العلاقة والصلة اللازمة بين العلوم والمعارف بمختلف التخصصات لتخدم الأمة والمجتمع، وتسعى للنهوض الحضاري المنشود من خلال تلمس مشكلات هذا الواقع والإسهام في تحقيق أهداف علمية ضمن أولويات بحثية لمنظومة المعرفة الإنسانية.

إن المعرفة الإنسانية لها بنية نسقية مترابطة منهجيّاً مع جملة من العلوم ضمن البنية المعرفية حسب توفر المصادر والمراجع التي تؤشر إلى نوع من الاكتمال المعرفي، فقد أجمع الدارسون على أن التقدم لا يتحقق إلا بالبحث العلمي، وأن الإنسانية لا تشق طريقها نحو الرقي والسموِّ والنماء إلا بالكد والاجتهاد في هذا المجال. ومن أجل ذلك كله تُرى بحوث المفكرين والباحثين قد وردت تبعاً وأسهم بعضُها إلى جانب إسهامات آخرين، بُغية "أن يحقق الإنسان حياة أمثل على ظهر الأرض"[1].

تعددت مفاهيم البحث العلمي تبعاً لتعدد اهتمامات الباحثين واختلاف الحقول المعرفية؛ فقد حدده من يهتم بالعلوم التجريبية تحديداً خاصاً، وعرَّفه من يشتغل في المجالات الإنسانية تعريفاً مختلفاً، فكانت تحديداتُهم وتعريفاتُهم تعتمد ‘‘على نوعين من التعاريف؛ أولهما هو التعريف المفهومي Conceptual، والثاني هو التعريف الإجرائي Operational"[2].

إلا أن الباحثين اجتهدوا في وضع حدود مميزة له عن غيره، ينسجم بها مع ما يقتضيه كل حقل من حقول المعرفة؛ فقال بعضهم "إن البحث العلمي عمل جاد، موضوعي، يرمي إلى الوصول إلى حقيقة معينة، أو تجلية قضية، أو حسم الأمر في مشكلة من مشكلات المعرفة الإنسانية"[3].

---

[1]– مقدمة في أصول البحث العلمي وتحقيق التراث، السيد رزق الطويل، 5.

[2] – المصدر السابق، 39.

[3]– المصدر السابق، 12.

وللبحث العلمي العربي الإسلامي الفرشُ الكافي من مباديء الحرية التي إذا انطلق منها يكون قد دخل الباب ووضع رجله في الركاب وكان له العطاء والإبداع في الإنتاج الفكري والعلمي؛ فرؤيته الدينية العقدية تمنحه الحرية الكاملة في الاختيار، فتضعه أمام تحدي، بعد تمكينه من أدوات التميز واكتساب المعرفة وبيان طبائع المصائر؛ حيث يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (3) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (4) إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (5) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (6)﴾ (الإنسان: 2- 6).

والبحث العلمي لا يستمد قيمته إلا من خطة جادة يجد فيها إضافاته التي تنقله من مستوى القول المكرر إلى مستوى العطاء الجديد والإبداع المتميز؛ فلكي يحقق البحث العلمي مبتغاه، فالمصلحة المنشودة لدينا في البحث العلمي تقوم على إعمال العقل في تتبع الصالح من التراث والتجديد على السواء، فإن اللازم في الأمر أن تستحضر ضرورة الانسجام بين العقل والشرع، وأن تكون المصلحة مستمدة من الوصول إلى المصلحة التي لا تضيع بها دنيا ولا تُخسر بها آخرة. ومن ثم، فقد جاء التنبيه من الشاطبي على أن الواجب، لما كان يراد للمصلحة المنشودة ألا تكون مخالفة لثوابت الأمة، فإذا كان البحث العلمي في كثير من الأحيان يبدو غيرَ مقنع ولا سالك جادة الصواب، فاتخذ مظاهر كثيرة تُفقده أسس إقناعه، مثل الانتقاء المتعمد، والجموح والانحسار، والحرص على تجاهل إيجابيات الآخر بغية طمسها، فإن ذلك يعود إلى أصل واحد يتمثل في كون الباحثين العرب قد انقسموا قسمين كبيرين؛ قسم مال إلى التراث وحده، وقسم آخر انزاح نحو التجديد وحده.

فقد صار لهذا الانقسام الحادِّ بين الباحثين مواقعُ رؤية متباينة، يصارع بعضُها بعضاً، ويتربَّص بعضها ببعض، ويجمِّع أهلُ كل منها أمرَهم وشركاءَهم من أجل الإجهاز على من يخالف رؤيتهم في البحث العلمي المعاصر من خلال الانتقاءُ المتعمَّد من أقوال الباحثين الذين يقعون في مواقع منافسة، أو معادية. وأمرُ الانتقاء المتعمَّد يُفقد الأمانة العلمية قيمتها، ويدفعها دفعاً نحو ألا تكون لها فائدة ولا طائل؛ حيث تصير راكبة مراكب سوء النية، صارفة أبصارها إلى القصد الفاسد؛ فتضيع الحقيقة، وتُفقد الموضوعية، ولا تنتصر الدراسة ولا المدروس. إن الجموح في كثير من البحوث المعاصرة خاصية لافتة للأنظار؛ فهو من نتاج الحداثة التي لا تعترف لممثلها بكونه باحثاً عالي الكعب، ضليع المعرفة، واسع الثقافة، إلا إذا خاض في القضايا الشائكة خوضاً لا يريده من أجل العلاج.

فأين التجديد الذي يصر عليه الباحث في سياقات أخرى؟ هل التجديد هو الالتحاق بالآخر؟ وهل هو الانغماس حتى الأذنين في ثقافة الغرب؟ أم إن التجديد في عرفه ما هو إلا تقليد ولكن ليس في

ارتباط بما خلَّفه السلف للخلف من تراث، وإنما في ما طبع الغربيُّ به حياتَه من سلوك وأخلاق وطُرق عيش؟

إن الباحث لا يتوقف عند حدود الوصف المشيد، ولا ينحصر قوله في تفضيل المسلك الذي صارت بعض الدول تسلكه على ما كانت تسلكه في سالف عهودها، ولكنه يدعو دعوة صُراحا إلى اقتفاء أثر الغربيين الحرف بالحرف والكلمة بالكلمة حتى تصير غربية لحماً ودماً، إن البحث العلمي لم يعد سلاحاً، يعتمد في مواجهة ما يضر بالذات، ولم يزدهر من أجل إصلاح ما فسد من أحوالها وأوضاعها، وإنما هو بحث علمي انقلب، فغدا يتدافع به إلى التبعية العمياء التي لا تبقي ولا تذر من ملامح الأمة العربية شيئاً. يتوجه أنصار التجديد من الباحثين العرب بِنهَم إلى العبّ المتواصل من الثقافة الغربية، ويدعون إلى ذلك دعوات لا تعرف الكلَل ولا الملَل. وبعد أن صار التواصل بين العرب والغرب متحققاً، وغدت الاستفادة مما لدى الآخر غيرَ معِيبة ولا مُخيفة، فإن النفوس قد اطمأنت إلى أبعاد الاتصال، واستقرت بها سفائنها عند مراسي التطبيع وتبادل الثمرات، فتعارض المواقف في البحث العلمي بتأرجح الباحثين بين التراث والتجديد ليكون هذا كله من آثاره وزيادة؛ فإذا كان التنافر حينها هو صاحب الهيمنة على المشهد كله، وكان ضياع القوى وتشتتها هو البصمة التي يتميز بها مسار علاقات الباحثين، فإن الزيادة تظهر بوضوح وجلاء لما يصير البحث العلمي مضيَّعاً كما يضيع الأيتام على مائدة اللئام؛ إذ يغدو كل باحث باذلاً قُصارى جهده لكيلاَ يَسقط رأيُه وإن كان خطأ، وليلاً يظفر غيره ببغيته فيستقر ما يأتي به بين الباحثين مستقراً وإن كان صواباً!!

ومن هنا، يصبح البحث العلمي العربي في دوامة لا تنتهي، فتتجاذبه الأطراف المختلفة، وتخلد به إلى الأرض وتشده إلى الحضيض، فلا يتطور التطور الذي تُبذل الجهود وتُنفق الأموال من أجله، وإنما تُركب فيه مراكب الإلهاء التي ينشغل فيها كل فريق بغيره، فيَدحض ويَكذب ويتهكَّم ويلغو ويُعرقل مسيرَ الباحثين المنافسين بكل ما أوتي من قوة.

إن واقع البحث العربي الحديث في حاجة ماسة إلى ثورة فكرية تحررية ترد مياه البحث العلمي إلى مجاريها، فتحرره من سطوة التراث الذي لا يُميّز فيه بين غث ولا سمين، ولا تُرصد فيه المصلحة التي يتحقق بها النفع والفائدة، كما تحرره من هيمنة التجديد الذي يرسخ أسباب التبعية والاستلاب من غير تخير للنافع المفيد، ولا اصطفاء للملائم لمقومات الثقافة والحضارة والانتماء.

جاءت هذه المجلة لتأكد على أهمية وضع ضوابط لأولويات البحث العلمي، تأتي ضمن رؤية كلية وجهود علمية تسعى للنهوض بالأمة، بمنهجية واستراتيجية ترقى بحياة الإنسان وتسعى لإعمار الأرض بالخير، على أن تكون رؤية الباحث في طرحه وجهده وإسهامه في التكامل المعرفي بين فئات العلوم الطبيعية والإنسانية والدينية في الجوانب النظرية والتطبيقية، ليكون بحثه الرصين ثمرة في جهود التكامل في التنمية

على مستوى عالمي، ومن أهم العوامل التي تحقق مشروع الرقي بالعطاء العلمي اعتماد فرق البحث وتبادل الخبرات، وتكامل الكفاءات وبناء منهجية علمية متخصصة قادرة على ضبط معايير البحث بصورة شمولية وتكاملية لتشكل منظومة بحثية ومعرفية تخدم الإنسانية جمعاء.

تسعى المجلة إلى بناء مناهج التعامل مع الخبرة البشرية المعاصرة في جميع فئات العلوم النظرية والعملية بوصفها نتائج للوعي والسعي البشري في بناء العمران في الأرض، وأنها تراكم للكسب البشري الذي شاركت فيها الأمم والشعوب عبر القرون، لا يكتفي المسلم بالاستفادة منه وتوظيفه في عمران الحياة في الأرض، وإنما يسهم في اختباره وتطويره والإضافة إليه.